تاريخ الاستلام:2023/10/08 تاريخ القبول:2023/10/20 تاريخ النشر: 2023/12/15م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن كلية الآداب الزاوية – جامعة الزاوية
العدد الثاني والأربعون – ديسمبر – لسنة 2023

التجديد في مشروع سلامة موسى النهضوي الآليات والمآلات

عبد الباسط المبروك الشبلي
قسم الفلسفة– كلية الآداب بالزاوية – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
EMAIL: abdoulbasit.alshbli@gmail.com

ملخَّص البحث:

ركز البحث على أبرز ممثلي التيار الليبرالي النهضوي الإصلاحي في الفكر العربي المعاصر، وجد في ظروف استثنائية لعل أبرزها أن المحدد لوجهة هذا الخطاب هو التفاعل مع الأنموذج الغربي الذي تم فيه الإصلاح وكذا ما عرف بالنهضة الأوروبية في زمن الإرهاصات الغربية – فإن هذا ما يدفعنا إلى طرح العديد من التساؤلات حول مدى مشروعية ما ينادي به رواد الإصلاح النهضوي في الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر من حيث منطلقاتهم أو من جهة ما يصبون إليه من النتائج.

وإذ يستوقفنا سلامة موسى (1887 – 1958) كأنموذج للإصلاح النهضوي، فإننا سنعمل على مقارنة هذه الإشكالية والمآلات في ضوء الوجهة الفكرية التي تبنها في مشروعه النهضوي الإصلاحي والاجتماعي والتربوي والسياسي، المفكر الذي جمع في أعماله بين التاريخ والعلم والدين والفلسفة والسياسة والاقتصاد وكتب عن التطور والمرأة والحرية وعن اللغة والهوية والثقافة والاشتراكية وخاض في حياته العديد من المعارك الفكرية فهاجمه وعارضه فيها العامة والخاصة ولا تزال أعماله إلى الآن تخوض أكبر المعارك الفكرية في سبيل تحرير العقل العربي من قيد الجهل والخرافة والتقليد، وربطها بإطارها الخاص من خلال تبني التيار الليبرالي في شكله العلمي التطوري في عصر كان يسوده التيار الديني

الذي دخل معه في صراع وبالتالي ما هي المبادئ والمنطلقات أو القواعد التي اعتمد عليها سلامة موسى من أجل التجسيد كنظرية التطور في الفكر العربي المعاصر لتبسيطها وإيصالها إلى عامة الناس؟ وأهم الانتقادات والمألات التي واجهت فلسفته.

كلمات مفتاحيه: سلامة موسى ، التجديد ،الإصلاحي ،الليبرالي، التطور العلمي ،التيار الديني .

Renewal of the Salama Musa Al-Nahdawi project, mechanisms and equipment

Abdel Basset Al-Mabrouk Al-Shibli

Department of Philosophy - Faculty of Arts in Zawia - Zawia University

Al-Zawiya - Libya

EMAIL: abdoulbasit.alshbli@gmail.com

ABSTRACT

The research focused on the most prominent representatives of the reformist liberal Renaissance movement in contemporary Arab thought. It was found in exceptional circumstances, perhaps the most prominent of which is that the determinant of the direction of this discourse is the interaction with the Western model in which reform took place, as well as what was known as the European Renaissance in a time of Western precursors. This is what prompts us to propose There are many questions about the legitimacy of what the pioneers of Renaissance reform are calling for in modern and contemporary Arab Islamic thought, in terms of their starting points or in terms of the results they aspire to.

As we consider Salama Musa (1887 - 1958) as a model of renaissance reform, we will work to compare this problem and issues in light of the intellectual perspective that he adopted in his reformist, social, educational and political renaissance project, the thinker who combined in his works history, science, religion, philosophy, politics and economics and wrote about development and women. Freedom, language, identity, culture, and socialism. During his life, he fought many intellectual battles, in which he was attacked and opposed by both public and private. His works are still fighting the largest intellectual battles to date in order to liberate the Arab mind from the shackles of ignorance, superstition, and imitation, and link it to its own framework by adopting the liberal current in its scientific, evolutionary form. In an era dominated by the religious movement with

which it entered into conflict, therefore, what are the principles, starting points, or rules that Salama Musa relied on in order to embody the theory of evolution in contemporary Arab thought, to simplify it and communicate it to the general public? The most important criticisms and problems that faced his philosophy.

Keywords: Salamah Musa, renewal, reformist, liberal, scientific development, religious movement.

مقدمة

شكل الخطاب النهضوي الإصلاحي في الفكر العربي الإسلامي الحديث نزعة نحو التجديد والتغيير فرضتها العديد من التحديات، إذ أن ما شهده العالم العربي الإسلامي منذ عصر الموحدين هو التدهور والأفول على المستوى الحضاري والثقافي الذي نجم عن عدة عوامل، داخلية منها تمثلت في العجز التام عن أي إبداع ذاتي في شتى المجالات، الذي أدى إلى تحجر الفكر وتدينه ضف إلى ذلك العامل الخارجي المتمثل فيما يفرضه الغرب من منطق السيطرة والتحكم في زمام التطور الحضاري، دون أن ننسى تداعيات الخلافات السياسية والاجتماعية التي كان الاستعمار مقدمتها الكبرى.

ولأن الخطاب النهضوي الإصلاحي وجد ظروف استثنائية لعل أبرزها أن المحدد لوجهة هذا الخطاب هو التفاعل مع الأنموذج الغربي الذي تم فيه الإصلاح وكذا ما عرف بالنهضة الأوروبية في زمن الإرهاصات الغربية – فإن هذا ما يدفعنا إلى طرح العديد من التساؤلات حول مدى مشروعية ما ينادي به رواد الإصلاح النهضوي في الفكر العربي الإسلامي الحديث من حيث منطلقاتهم أو من جهة ما يصبون إليه من النتائج.

وإذا يستوقفنا سلامة موسى (1887 – 1958) كأنموذج للإصلاح النهضوي، فإننا سنعمل على مقارنة هذه الإشكالية والمآلات في ضوء الوجهة الفكرية التي تبنها في خطابه النهضوي الإصلاحي والاجتماعي والتربوي والسياسي، المفكر الذي جمع في أعماله بين التاريخ والعلم والدين والفلسفة والسياسة والاقتصاد وكتب عن التطور والمرأة والحرية وعن اللغة والهوية والثقافة والاشتراكية وخاض في حياته العديد من المعارك الفكرية فهاجمه وعارضه فيها العامة والخاصة ولا تزال أعماله إلى الآن تخوض أكبر المعارك الفكرية في سبيل تحرير العقل العربي من قيد الجهل والخرافة والتقليد، وربطها بإطارها الخاص من خلال سلامة موسى الذي كان من الأوائل الذي تبني التيار الليبرالي في شكله العلمي

التطوري في عصر كان يسوده التيار الديني الذي دخل معه في صراع وبالتالي ما هي المبادئ والمنطلقات أو القواعد التي اعتمد عليها سلامة موسى من أجل التجسيد كنظرية التطور في الفكر العربي المعاصر لتبسيطها وإيصالها إلى عامة الناس؟ وأهم الانتقادات والمألات التي واجهة فلسفته وقد اعتمدنا في معالجة موضوع الدراسة المنهج التحليلي بالإضافة إلى المنهج التاريخي.

الرؤية الفكرية والفلسفية.

حتى نستطيع معرفة واستيعاب فكر سلامة موسى، وجب علينا الإشارة إلى السياق الزمني والمكاني لمحاولته التحديثية، بما شهده من أحداث ستمكننا من الكشف عن مصادر أفكاره، فقد عرف الوطن العربي منذ منتصف القرن التاسع عشر حالة من عدم الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، حيث كانت المجتمعات العربية تحت وطأة الاستعمار، وكانت قضية التحرر من الاستعمار والنهضة الشاملة من الإشكالات التي واجهها المجتمع ومثقفو تلك الفترة فتعددت في ذلك المشاريع والتوجهات.

وقد شهد الفكر العربي بوجه عام معارك طاحنة بين اتجاهات فكرية متعددة ومتباينة، بحثوا جميعاً عن الهوية مشتركة وتنافسوا وتناقشوا حول سبل التقدم والتحديث وكان للمسيحيين العرب دور ملموس في تلك الأحداث ممن رفعوا لواء العقلانية والعلمانية كمحاولة لتخلص من الاحتلال العثماني ومن التخلف والانحطاط الحضاري، بالمقابل شهد القرن اكتشافات علمية كبرى واكبها ظهور مذاهب فكرية جديدة طغت عليها الدعوة إلى الحرية والاشتراكية والتحرر والبعث القومي والدعوة إلى العلمانية الراغبة في تحديد دور الدين في الحياة وكان من أبرز الدعاة إلى ذلك سلامة موسى فكان من الأوائل الذين نادوا بالعلمانية إذا رأى ضرورة التحرر من كل قيود التراث العربي الإسلامي في كافة جوانب الحياة.

وقد ساهمت عدة عوامل في تشكيل فكر سلامة موسى النهضوي منها عوامل داخلية وخارجية متعددة إلى درجة التناقض تتمثل في سيل من الفلاسفة والمفكرين العرب والغربيين الذين يتكرر ورودهم في مؤلفاته وخطاباته، ولعل أبرز المفكرين الذين تأثر بهم في مطلع شبابه "شبلي اشميل" وفرح أنطوان ولطفي السيد الذين كانوا يدعون إلى الحرية السياسية وإصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية في العالم العربي، وتأثره بالثورة الهندية عامة "وغاندي" خاصة، الذي كان يدعو إلى الاستقلال القومي السياسي من خلال القضاء

على الاستعمار، إضافة إلى تأثره بالحربين العالمتين الأولى والثانية[1]، كما تأثر أيضاً في فكره بالمعاناة التي كان يتخبط فيها الوطن العربي جراء التخلف والجهل والفقر.

كما تأثر بأسلوب "برنارد شو" في أسلوبه الساخر في تناول القضايا وعرضها كما انطبعت ثقافة سلامة موسى بما عرفه واستوعبه في فرنسا أولاً ثم في انجلترا فيما بعد فتأثر "بفولتر" في اعتبار التفكير الغيبي من أخطر معوقات التطور التاريخي وكذلك ب "مونتسيكو" في وصفه حركة التاريخ وتطوره [2]، وأعجب بكل من "فرنسيس بيكون" "وجون ديوي"، لإعطائهما التجربة أهمية عظمى، كما دعا جمهور القراء العرب إلى الوقوف على ما يفكر فيه فلاسفة أوروبا وإلى إتباع "ابن رشد"، وإنكار "الغزالي" لآن "ابن رشد" دعا العقل والفلسفة، أما الغزالي فقد جمد الفلسفة[3].

وكان لنظرية "التطور" أو "النشواء والارتقاء" وبصاحبها "نشارلز داروين" أثر كبير على جميع أفكار ومؤلفات سلامة موسى فاتسمت شخصية سلامة موسى القلقة غزيرة الإنتاج إلى حد التناقض، لسلامة موسى أكثر من أربعين كتاباً من أهمها أحاديث الشباب "وأحلام الفلاسفة" والإنسان قمة التطور" "والاشتراكية: والمرأة ليست لعبة" نظرية التطور وأصل الإنسان "وهؤلاء علموني" وماهي النهضة "وتربية سلامة موسى" وغيرها الكثير.

ولذلك سعى جاهداً من خلال مؤلفاته إلى استنساخ طريقة الجمعيات التي تأثر بها في الغرب ومنها "جمعية العقلين" والجمعية الفابية" لم تكن مؤلفات سلامة موسى موقوفة على التأليف المحض وإنما تراوحت بين التأليف والترجمة، كما استفاد من تجربته في "الهلال" و"البلاغ" استفادة عظمى وتدعم ذلك بممارسة الصحافة زهاء نصف قرن وكانت إدارته لعديد المجالات والجرائد خير حافز للكتابة [4].

إن مؤلفات سلامة موسى غزيرة ومتنوعة وأكثرها غاضبة حتى تلك التي نشرت بعد وفاته فقد تناولت بالعرض والتوضيح قضايا عصره ووجهت الأنظار إلى القضايا القطرية والكونية التي استنبطها بعد أن فككها ثم أعاد ترتيبها وإعادة صياغتها بأسلوب واضح ومميز وكان أمله رؤية أفكاره حول الاشتراكية والمدنية والتحرر والانعتاق واقعاً معاشاً.

قصد سلامة موسى أساساً إلى وضع منهج شامل يربط بين الأفكار والواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي مستهدفاً بذلك وضع بوصله فكرية تنير العقول تقوم على أسس موضوعية، عمادها الربط بين الفكر والواقع وهو بذلك يؤسس منهجاً علمياً في التفكير

يتطلب منه الإحاطة الشاملة بعلوم العصر، فهو لم يبادر بنقل إحدى المدارس الفكرية الأوروبية، وإنما هو يبني أفكاره إبداعياً ذاتياً مزيجاً بين الحضارة الفكرية والاجتماعية التي يعيشها على النطاقين العالمي والمحلي، ثم تتبلور همومه الخاصة بذاته من ناحية وبالمجتمع من ناحية أخرى، وبالعالم من ناحية ثالثة تبلورت جميعها في صورة قضايا فكرية تتخذ تارة شكلاً فلسفياً وتارة شكلاً سيكولوجياً ثم تصطدم هذه القضايا بقراءاته للفكر العالمي واستقرائه للواقع الذي يعيشه ليتراوح بين تجربته الذاتية وواقعه الموضوعي – فينقل إلينا فكر وفلسفة الفكر الغربي.

أسس الحداثة والتنوير

يشكل الخطاب النهضوي في فكر سلامة موسى مشروعاً نهضوياً تحديثياً فقد مثلت كتاباته الأولى محاولة لطرح بديل عن الفكر الديني المكرس للرؤية الغيبية، مما جعل محاولته تتقاطع مع القيم والمفاهيم التراثية، فكان مشوبا بكثير من الحذر بدعوى أن المسلمين لم يألفوا النقد وهو أمر لا يتوافق مع التاريخ الإسلامي وإن كان ينطبق على العامة أو على غلاة المسلمين من العلماء والحكام إنه لم يكتف بنقد الأديان السماوية وإزالة الهوة بين أتباعها من المسلمين والمسيحيين وإنما دعا إلى التعايش السلمي بين الأديان من أجل ترسيخ القيم الإنسانية التي لا تنفذ بالنظرة الدينية وإنما توكل للإنسان دوراً رئيساً في بلورتها ودعا إلى التسامح والحب ودوره في نشر الوئام والاستقرار بين الناس والتعايش السلمي ما يعرف اليوم بحوار الحضارات والأديان حتى ينشر الوئام بين الأمم والمجتمعات بعيداً عن التعصب والانغلاق والإقصاء، ووجد ما يعمق ويؤكد ذلك في الأدب الصوفي الإسلامي الذي كان في نظره سباقاً إلى الدعوة إلى الحب والتسامح والعيش المشترك.

مما جعل كتاباه الأولان "الاشتراكية والإنسان والسوبرمان" يندرجان في هذا المنحنى فزاوج بين المذهب الاشتراكي الطوباوي وبين تأثره بالفكر الماركسي بالإضافة إلى التجربة الليبرالية التي عاشها في أوربا ومحاولة فك التناقض بين ما هو اشتراكي وما هو ليبرالي سياسي، أما كتابه "أحلام الفلاسفة" فكان ثورة على الفكر السائد آنذاك كله محاولة منه للخروج من سياج الفكر العتيق والانفتاح على الثقافة الغربية.

وقد شكلت هذه المؤلفات الأرضية الأولى لكل العمليات التخوينية التالية، لأنها تلقت الموجة الأولى من هجوم الفكر الديني وتكفيره لها وتواصلت داخل منهج تفكير الآخر

بتطوير وعيها من الداخل وتوسيع رؤيتها على أفق اشتراكي وأخر ليبرالي وأخر علماني وصولاً إلى نزعة إنسانية شمولية. (5)

لقد جسد الخطاب النهضوي لسلامة موسى القاعدة الأساسية للخطاب الليبرالي العربي الحديث فكان يؤسس مشروعاً ثقافيا كجواب منه على إشكالية النهضة، وأسس الحداثة، إنه يخوض حرب ثقافية ضد القيم القديمة وعلى كل مظاهر الثقافة التقليدية التي يرى أنها لا تناسب ومطلب الحداثة والتنوير، فهو يدافع عن نظرية التطور التي يؤمن بها إيماناً قوياً ويعتبر النزوع إلى التطور خاصة طبيعة من خصائص الإنسان، فالتطور هو سنة الحياة انطلاقاً من أن شهوة التطور تتغلب على شهوة البقاء. (6)

لذلك رأي في نظرية التطور أداة لتحطيم الخرافات والأساطير التي تقيد ذهن الإنسان العربي وتمنعه من النهوض.

ويرى سلامة موسى أن أعظم العقبات التي تؤخرنا في مصر كما تؤخر كثير من أمم آسيا وأوروبا بعد الاستعمار هي هذه الرواسب من الثقافات والتقاليد والغيبيات الفرعونية والبابلية وأمثالها، وهي من تعترض عجلة التاريخ وتعوق التطور وليس لذلك من علاج إلا العلم وهو نار كاوية تحرق جميع الرواسب وتبدد عفنها هباء.(7)

كان سلامة موسى شديد التحمس للتعلم حتى يكون إلزامياً ومتوفرا لكافة أفراد الشعب وكان حريصاً على إبقاء المدارس الأجنبية في مصر، لأنها تكون بذلك شكلاً من أشكال الثروة الثقافية (8)، ولذلك نادى بمراجعة مناهج الدراسة ظهراً على عقب وإعادة هيكلة المعارف حتى تتطلع بدورها التنويري المنشود وبذلك تكون رافد حيوياً وفعالاً في التغيير والتطوير ولذلك يقول يجب تنظيم المعارف والمناهج الدراسية وترقية الصحافة حتى تعود جميعها أدوات ووسائل للتنوير. (9)

فهذه الدعوة إلى العلم مشروع حضاري ما أنفك سلامة موسى يدعو إليه ويثبته ويؤكد على ضرورته لأنه عاين مدى التطور الذي أضحت عليه الشعوب المتمدنة والمصنعة وأحزنه أن يبقى الشرق سائرا بخطى النمل أمام القفزات العملاقة التي تحققها الشعوب المتطورة ولذلك كرس سلامة موسى النصف الأول من حياته للدعوة إلى التصنيع وجعل القسم الثاني منها حض على التعلق بالعلم واشتهر في سنة 1930 بجمعية يعقوب صروف

حركة علمية شعبية في مصر تجسمت في المجتمع المصري للثقافة العلمية، وكان هدفه من بعث ذلك ضم جميع المهتمين بالثقافة العلمية ونشرها بين الجمهور. (10)

لقد بين سلامة موسى أن المنهج العلمي يمتاز بالدقة والصحة والصرامة لأنه يسعى نحو التحرر والتطور ثم إن الإيمان بذلك يصرف الأذهان عن كل العراقيل التي تقف حجر عثرة أمام هذا التطور المنشود، ومن اللافت للنظر أن سلامة موسى في مقارنته بين الغرب المتمدن بالعلم والشرق المتحجر بالجهل لا ينكر فضل العرب على الغرب بل إنه ينتهي إلى بيان أسبقية وجود النظرية العلمية عند العرب قبل ازدهارها في الغرب ويرى أن النهضة الغربية مدينة للعرب بالكثير في مظاهر ازدهارها، فالعرب في نظر سلامة موسى هم أهل النهضة العلمية في أوربا (11).

آمن سلامة موسى بقيمة العلم وأعطاه مكانة كبيرة في حياته وانفق سنين عمره في تقريب الثقافة العلمية من مواطنيه وإيضاح أوجه الاستفادة منها والانتفاع بها وهذا يؤكد ويكشف عن حرصه الشديد على نشر الثقافة العلمية فهو يرى أن هناك طريقين للتعلم واكتساب المعرفة وهما:

التفكير والتجربة فبالتفكير نستنتج النتائج ونسلم بها، لكن التفكير لا يجعل النتائج يقنية ولا يزيل الشكوك حتى يسكن العقل إلى الحقيقة ما لم يهتد العقل إلى هذه الحقيقة عن سبيل التجربة فأساس النهضة العلمية في أوروبا هو النزعة التجريبية التي نزع إليها العرب ونقلها اليهود إلى أوروبا فكانت البذرة الصالحة للحضارة الصناعية الراهنة. (12)

لقد طالب سلامة موسى منذ نشأته الفكرية بتغيير الأنظمة الاجتماعية والتعليمية السائدة آنذاك، ودعا إلى الحرية المطلقة في التفكير فالأنظمة القديمة تحد من حرية الفكر حسب رأيه ولم يمنعه التقدم في السن من تغيير مبادئه وأفكاره التي نادى بها ومن خلال ذلك يمكن أن نبين ثلاثة أبعاد رئيسية للخطاب النهضوي.

البعد الفلسفي عند سلامة موسى

لم يغفل سلامة موسى عن أهمية الفلسفة في مشروعه النهضوي لذلك حمل خطابه النهضوي ما يمكن تسميته "فلسفة نهضوية" يبتعد فيها عن أسئلة الفلسفة القديمة التي كانت تبحث عن ما وراء الطبيعة وانتهت دون أن تتوصل إلى جواب كافي يطمئن إليه وبدلاً من

ذلك على مواضيع الفلسفة الحديثة التي مكنت من تحقيق النهضة الأوروبية، وبالتالي هي ضرورية لتحقيق النهضة العربية وكل هذه المواضيع مرتبطة بالحياة والوجود الإنساني.

لقد كانت فلسفته قائمة على احترام الفرد الإنساني ومن ثم كانت التجربة الأوروبية للنهضة حاضرة بقوة في ذهن وفلسفة سلامة موسى المنبهر بالغرب، ولذلك تبني البدايات نفسها التي تبنها ظروف النهضة في أوروبا هي نقطة البداية التي وقف عندها المفكرون العرب، فمن المعروف أن حركة النهضة الأوروبية قد عبرت عن اتجاه ثقافي علماني تكون الكلمة العليا فيه للعقل، والقداسة للعلم، والسيادة للديمقراطية والقوة والتمكين لكافة مبادئ المساواة والعدالة والحرية في سائر المجالات المختلفة، وبذلك ظهرت دعوات فصل الدين عن الدولة والسخرية من الفلسفة المدرسية فلسفة العصور الوسطى، التي دارت حول التوفيق بين الفلسفة والدين، وشاع التهكم علي الدين واللغة والثقافة وكافة المظاهر التي سادت العصر الوسيط.

ومما يزيد سلامة موسى إيماناً بالإنسانية ما حققه الإنسان بفضل العلم من سيطرة على الكون وثرواته ومن انعتاق مطرد من ربقة الغيبيات التي كانت جبرية ليست فيها حرية الماديات، أي أن التفكير المادي حرّ متطور أما التفكير الغيبي فمقيد جامد. (13)

لقد كانت فلسفته قائمة على احترام الفرد الإنساني الذي لم يعد العصر الحاضر يغفل أهمية دوره في رقي الإنسانية، إنها النزعة الليبرالية تكشف عن نفسها بوضوح حينما يصرح بأنه يكتب لهذا الفرد الذي كان مهملاً في الماضي. (14)

لقد استطاع سلامة موسى بفضل إيمانه الشديد بإنسانيته أن يكون لنفسه شخصية ناجحة بديلة وهذه الشخصية ظلت منضبطة بدستور الحياة وملتزمة بخط علماني معلوم وكان ارتباطها بالواقع المعاش متصلاً غير منفصلاً لأنها اتخذت من هموم الإنسان في كل مكان مشعلاً مقدساً وجعلته قطباً من أقطاب اهتمامها.

ونشير أننا لا نقصد بالبعد الفلسفي في خطاب سلامة موسى بناءه لنظرية أو مذهب فلسفي بل فقط اقتناعه بتصور معين للكون والمجتمع والإنسان.

البعد السياسي

اهتم سلامة موسى بالجانب السياسي اهتماماً كبيراً حيث كان شغله الشاغل، وقد تحدث عن السياسة في الكثير من مؤلفاته من أجل تبيان مفهوم السياسة الحقيقية التي

ينشدها المجتمع، وقد دعا في حديثه عن السياسة إلى ضرورة بناء سياسة جديدة مرتبطة بالنهضة من أجل التقدم والتطور ومواكبة الحضارة، وتبني النظام الديمقراطي القائم على العدل والمساواة وحرية الرأي والتفكير والتعبير – فانخرط في المجال السياسي بكل قوة واندفاع من أجل تحقيق مشروعه النهضوي، مما أدى أن يدفع ثمن مواقفه السياسية إذ اعتقلته حكومة صدقي من أجل تمرير معاهدة "صدقي بيغن"، في تلك الفترة.

وفي هذا الإطار دعا سلامة موسى إلى الحرية وناضل في سبيلها وثار على الظلم والاستبداد بجميع أنواعه سواء كان دينيا أو ثقافياً أو سياسياً ووصف المستبدين بأنهم طاغوت الأمة – لقد اتبع سلامة موسى في هذا الشأن خطاباً وطنياً نقدياً أنتقد فيه الممارسات الاستعمارية في جميع صورها وأشكالها.

يعتبر سلامة موسى من أهم المفكرين في العصر الحديث الذين اهتموا بموضوع السياسة؟ حيث تحدث عنها في الكثير من كتبه إذا أراد بها أن يعرف القارئ أن المعنى الحقيقي للسياسة، وقد أعطى لها تعريف مغايرة للتعاريف الماضية والغابرة، إذ أكد أن السياسة ليست الدهاء والاستعمار والقوة، بل تأسيس المدارس والمستشفيات وبناء المنازل وتحقيق الأمن للفرد والقضاء على التخلف والجهل ويكون ذلك عن طريق الإصلاح في الوطن العربي [15] والإصلاح الذي كان يقصده هو اتباع ما اتبعته أوروبا من إصلاحات فالسياسة من منظور سلامة موسى لا تكفي في سيطرة الحكومة على الشعب وتسليط الظلم عليه وإنما هي تقديم الحياة الكريمة للشعب وحل مشاكله [16].

وفي هذا الإطار دعا سلامة موسى إلى الحرية وناضل في سبيلها وامتدح السياسة اللبرالية المطبقة في الغرب وخاصة فرنسا، تلك النظم التي تكفل الحقوق البشرية وحق الانتخاب للمرأة وحق الإضراب ووجود الدستور القائم على العلمانية، وكل هذه المسائل تشكل مجتمعه ما يسميه سلامة موسى حيوية التفكير السياسي، في الغرب تلك الظاهرة التي لم يعرفها الشرق ولكنه سيعرفها مستقبلاً كما يشير بذلك سلامة موسى. [17]

لقد عاش طيلة حياته منددا بالاستبداد السياسي ومكافحاً من أجل الديمقراطية التي يرى أنها لكي توتي ثمارها وتستمر يجب أن ترتبط بالقضاء على كافة الأمراض الاجتماعية وفي مقدمتها الإقطاع فقبل ذلك لن يكون هناك معنى للمطالبة بديمقراطية سياسية في ظل

انتشار الجهل والمرض والظلم الاجتماعي فالديمقراطية كما يفهمها سلامة موسى نظاماً في المجتمع قبل أن تكون نظاماً في الحكم. [18]

أولى سلامة موسى أهمية كبيرة للحرية ذلك لأن الأمة العربية قبل النهضة كانت تعيش في قيود ولهذا دعا إلى حرية التفكير والتحرر من القيود ولا سيما السياسية منها حيث يقول إننا نربط عقولنا كي لا نفكر التفكير الحر، أو تسن الحكومة قوانين حتى لا نفكر إلا في الحدود التي تعينها لنا [19] إذ يؤكد سلامة موسى أنه هناك في المجتمع العربي قوانين تمنع التفكير وتقيده وهذا ما يسبب للشعوب الإحباط واليأس ويرى أن تخلق المجتمعات العربية بصفة عامة والمجتمع المصري بصفة خاصة هو صنع قيود على الحرية لأن الحكومات كانت تقيد التفكير الاجتماعي وهذا ما أدى إلى تخلف الشعوب العربية وجعلها غنيمة سهلة للاستعمار كما أن تقييد الحرية أدى إلى تعطيل التفكير السياسي في جميع الدول العربية عدة سنين إذ يعتبر أن قلة من الناس من يعرفون حدود حريتهم ويستطيعون الوصول إليها لأنهم اعتادوا على تلك القيود [20] وهو يؤكد على أن الحرية مفقودة في مجتمعنا العربية، كما دعا إلى تحرير الشخصية العربية من الخرافات والتقاليد وأن يكون مصير الإنسان بيده غير مرهون للقدر والتقاليد وأكد على الحرية الاقتصادية والاجتماعية، كما يرى سلامة موسى أنه بعد التحرر علينا أن نحافظ ونحمي الحرية من الظلام والطغاة المستندين، كما يجب أن تتمتع بحرية العلم والثقافة والابتكار وحرية الرأي وبذلك لابد أن نتعلم حتى نفهم معنى الحرية وقيمتها وحتى نستطيع ممارستها والدفاع عنها باعتبارها حق للجميع [21] وهو في هذا يؤكد على حرية الكلمة والرأي وحرية الفكر وتحقيق العدالة والخير والحق ومختلف القيم الإنسانية .

البعد الاجتماعي

عالج سلامة موسى قضايا اجتماعية متعددة ومن بينها حرية المرأة التي رأى أن تحلفها يعود إلى أسباب اجتماعية عطلت قدرتها على الابتكار ذلك أن أوضاع التأخر التاريخي جعلت دور المرأة مقصوراً على البيت ملفتا الانتباه إلى أن البلدان التي تحررت فيها المرأة أظهرت فيها قدرتها على المساواة بالرجل ومنافسته، إن اهتمامه بأوضاع المرأة جعله يرى بأن أهم ما يفصل بين الشعوب العربية والغربية هو حال المرأة بينهما، وجعل حرية المرأة هي الفارق بين الشعوب وسر تقدمها ، وسلامة موسى بدعوته إلى تحرير المرأة

إنما يتخذ منها منطلقاً لمواجهة الاستعمار، إذ أن القضيتين مرتبطتين عنده لأنه يرى أن الاستعمار يلعب دوراً أساسياً في إعاقة حرية المرأة لأن ذلك يخدم أهدافه في السيطرة على الشعوب العربية.

ورغم إشادته بالدور الذي قام به "ابن رشد" قديماً و"قاسم أمين" حديثاً في قضية المرأة فإنه يؤكد على أهمية العامل الغربي في النهضة النسائية العربية إذ أن الشعوب الغربية إنما تنبهت إلى قيمة ارتقاء المرأة بسير الحوادث والاحتكاك بالحضارة الغربية. (22)

كما يحمل خطابه دعوة إلى التصنيع حيث يقول "هبطت على منذ أكثر من ربع قرن حقيقة مفردة هي أن الفرق بيننا وبين الأوربيين المتمدنين هو الصناعة وليس شيئاً غير الصناعة إنه يعتبر العلم والصناعة هما معيار التفاضل بين الأمم والحضارات ومن هنا يعتبره "عبدالله العروي" داعية التقنية. (23)

كما نجد له روحاً ثائرة على الظلم الاجتماعي والظلم الفكري والقيود التي تحد من حرية الفكر، فنجده يؤلف وهو دون العشرين كتاباً عن "نيتشة" يصفه باللهب والنار والثورة على ظلام الفكر فصرخات موسى فيه كانت عالية بل مزعجة وهذا كله من أجل الدعوة إلى الحرية المطلقة في الفكر، فطالب بتغير مناهج الدراسة وتنظم الصحافة حيث تصبح لها أدوات ووسائل للتنوير (24)

يعتقد سلامة موسى بضرورة أن تعطي المرأة كافة حقوقه وأن لا يقلل من قيمتها فبناء المجتمع يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتعليم المرأة وعلى المرأة أن تعمل خارج البيت وتؤدي خدمة اجتماعية لوطنها وعليها أن تستغل مهاراتها ومعارفها في العمل الاجتماعي إلى جانب الزواج والأمومة، وهذا العمل الاجتماعي هو الذي يصل بينها وبين المجتمع ويكسبها العقل الاجتماعي ويؤكد استقلالها.

إن الأبعاد سابقة الذكر تشكل المحاور الأساسية في مشروع سلامة موسى النهضوي هذا المشروع سعى إلى التنوير عبر سلاح النقد، فهو ممارسة نظرية تسعى إلى هدم ونقد أسس الفكر الديني والقضاء على كل ملامح التأخر التاريخي وتحقيق النهضة التي لا يمكن أن تكون إلا على النموذج الغربي، فهو يدافع عن كل منجزات الغرب في عصره الحديث ويدعو إلى تبنيها من أجل تحقيق النهضة العربية، فلذا رأى أن رسالته كمفكر هي

أن يناصر تيار الحداثة والتقدم ويبني أطروحاته التي تتلخص في الإيمان بالمستقبل والتطور البشري وسيطرة الإنسان على الطبيعة والعلمانية والديمقراطية.

إن الانبهار بالآخر والدعوة إلى الاتحاد معه والحلول فيه تشكل الأساس الذي يقوم عليه المشروع النهضوي، ذلك ما يكشف عنه التقابل الذي يقيمه ذلك المشروع من ثنائية الشرق حيث الاستبداد والثقافة القديمة والحضارة الزراعية والغرب حيث الحرية والثقافة العلمية الحديثة والحضارة الصناعية – إن ذلك تبهي به إلى تقرير إن ما يحتاجه العرب من أجل النهضة هو التنوير الغربي لعقولهم الشرقية. (25)

وينتصر سلامة موسى للعقل وينطلق في نتاجه الفكري والاجتماعي والنقدي من منظور علمي والتزام صريح وواع بقضايا المجتمع، وانتقد بجرأة وشدة مساوي السلطتين السياسة والدينية وحارب مظاهر التخلف وطالب بتحرير المرأة التي كانت تعيش في ظلمات كثيفة من الجهل والعبودية ومساواتها بالرجل وضرورة إشراكها في الحياة السياسية. (26)

وخلاصة القول أن سلامة موسى من الشخصيات المهمة والغنية في الحياة الفكرية بأحلامه الجميلة والثقافية العربية الحديثة وهو إنسان مثقف وعميق ومفكر أوهن الناس بحملة الجميلة وأصالة فكره الملتزم بالإنسان وجمع بين المنيرة الفلسفة وسطوع الفكرة وشغله هموم شعبه واهتمامه بالطبقات الشعبية الفقيرة والبائسة ولم يغمض عينة عن القضايا الاجتماعية وحارب المفاهيم والعادات السلبية في المجتمع ودعا إلى بناء التكاثف الاجتماعي وتحطيم أصنام الظلم والقهر وعالج مختلف القضايا والموضوعات الاجتماعية والفكرية ملتزماً بمنطلقات الفكر العلمي ووضوح رؤياه.

الآليات:

من الواضح أن سلامة موسى تأثر بالفكر الغربي حتى النخاع وحاول إضفاء الصيغة الغربية بكل ما تحمله من معطيات وأفكار على مشروعه النهضوي التحديثي، على الرغم من الاختلاف الظاهر والواضح بين الفكر الغربي الليبرالي والفكر الشرقي، لأن لكل مجتمع خصوصياته وثقافته لقد اختار سلامة موسى بكل وضوح المنهج الغربي، فالمتمعن في مشروع سلامة موسى يلمس تأثراً كبيراً بالمفكرين الغربيين أمثال: "برنارد شو" و"فولتر ومونتسيكو"، "تشارلز داروين" وغيرهم.

ويذهب سلامة موسى في طرحه بالقول إن مشروعه التحديث ينفتح على التراث العربي والمعارف والعلوم الغربية وهذا الانفتاح المزدوج كان يتطلب منه أن تكون مصادره ومناهجه ومرجعياته الفكرية متكافئة شرقية وغربية ولكن المطلع على مشروعه الحداثي يعلم أن مصادره الأساسية خليط بين الفكر الفرنسي والاشتراكية الفابية.

لقد أراد سلامة موسى نسخ التجربة الغربية بكل حيثياتها على التراث العربي الإسلامي، وهذا ما جعل مشروعه الحداثي يتعرض للكثير من النقد والرفض، لأنه مشروع لم يؤسس على أساس سليم يتوافق وبنية وتشكيلة الشخصية العربية الإسلامية وفي هذا الصدد يقول "محمد عماره"! فلما عمت بلوى الاستعمار وعلا صوت التغريب ووجدت دعوات تغيير الهوية والانتماء الحضاري لها بعض الركائز في الثقافة والإعلام من أمثل سلامة موسى الذي بلغ الذروة في الصراحة التي نافست الوقاحة فدعا إلى الكفر بالشرق دينا ولغةً وحضارة وتاريخا وإلى الإيمان بالغرب وضرورة الانسلاخ عن كل مقومات الشرق والاندماج في أوروبا شكلاً ومضموناً. (27)

كما يجدر بنا الحديث عن انتقائية وهامشية خطاب سلامة موسى فقد كان انتقائياً في تعامله مع الفكر الغربي ولم يأخذ محوراً فكرياً موحداً ومحدداً بل تجاذبته تيارات فكرية مختلفة، فتجد لديه "النيتشويه والاشتراكية والداروينية"، وهذه الانتقائية التي يأخذ بها سلامة موسى ربما يقف وراءها هدف نبيل وهو الرغبة الجادة في تجاوز الوضع المتأزم والتأخر الحضاري بإحلال العقلانية في مواجهة الخرافة والتخلف وإقامة مجتمع مدني.

ومن خلال ما طرح سابقاً نقول إن إخفاق مشروع سلامة موسى التجديدي كان مثله مثل المشاريع الفكرية الأخرى التي أخفقت فجل المشاريع العربية لم ترى النور، فالمنطقة العربية كانت تعاني من التطرف الديني وسيطرة الخرافة، كذلك الأنظمة الاستبدادية والاستعمار والتخلف كانت مجتمعه تحكم البلدان العربية لذا فإن أي مشروع فكري يطرح يقابل بالرفض والتهميش والتأجيل.

المألات:

سلامة موسى في كتاباته كثيراً ما يوهم القارئ العربي عموماً والمصري خصوصاً بانه لا يريد تسفيه التراث الإسلامي، أنه فقط في مشروعه التجديدي النقدي أراد تمحيص وتفحيص العقل العربي وتخليصه من الشوائب والمغالطات والخرافات التي طالته ردحاً من

الزمن لكن القارئ لمشروع سلامة موسى الفكري يلاحظ أنه مشروع تفويضي أكثر منه تأسيسي، فإنه دائماً ما ينكر أنه لم يرد الإساءة للإسلام ومقدساته وللعروبة لكن في حديثه في تناول العقلية العربية عامة والمصرية خاصة تظهر عكس ذلك، فسلامة موسى أراد رفع القداسة عن التراث العربي الإسلامي المتمثل في الدين الإسلامي وكل الأديان في نظره سواء فهي في جوهرها واحد.

ما يعاب على المنهج الموسوي أنه حاول قراءة الواقع العربي بأدوات الغرب وهذا يتعارض بصورة أو أخرى مع المنطق العلمي، لأن المادة المعرفية والفكرية في أي مجتمع أو أي عصر تتطلب أدوات علمية تنسجم مع معطيات المكونة لكل أمة أو شعب فأراد سلامة موسى نسخ التجربة الغربية بكل حيثياتها على الواقع العربي عامة والمجتمع المصري خاصة وهذا ما جعل مشروعه الفكري يتعرض لكثير من النقد والرفض، لأنه مشروع لم يؤسس على أساس سليم يتوافق مع بنية وواقع المجتمعات العربية الإسلامية.

كما يرى بعض المفكرين والنقاد أن المنهج الموسوي نهج عدمي يحمل في طياته وثناياه الكثير من الخلط بين ما هو مقدس وبين ما هو خال من التقديس بينما هو ديني وبين ما هو دنيوي، بين الغيب الذي هو أساس الإيمان وبين الأسطورة التي هي من نسج الخيال وبين الغيب والأسطورة، وبين المدنس والمقدس، بين الأديان الوضعية والأديان السماوية الكل يبدو واحداً ومتشابهاً ومتكافئ.

لم تكن محاولة سلامة موسى في النهوض بالشعوب العربية ونقده للواقع العربي الإسلامي عموماً والمصري خصوصاً سوى محاولة تطبيق النهضة الغربية على التراث العربي الإسلامي، وعدم تقيده بمنهج واحد في هذا المشروع، تارة يكون أنثروبولوجيا وتارة مؤرخاً وثارة ناقد لقد ضاع في النقدية المنهجية التي دعا إليها.

كما قام باستبعاد الدين واللغة كشرط للتقدم وجعل المجتمع العربي صورة طبق الأصل من المجتمع الغربي.

الخاتمة:

على الرغم من اختلاف الباحثين والمفكرين والمثقفين بشأن شخصية سلامة موسى إلا أنهم متفقون على أنه شخصية تنويرية إصلاحية مجددة أسهمت بشكل كبير في إيقاظ المجتمع العربي من سبات الجهل والتخلف الذي كان عليه في ذلك الوقت، فكان يدعوا إلى

ضرورة الآخذ بمقتضيات العصر مع تجاهل التراث العربي الإسلامي الذي سوف يقضي على الهوية العربية الإسلامية التي تتضمن اللغة والتاريخ وهذا ما عاب عليه الكثير من المفكرين العرب وخاصة رواد الإصلاح، ومشروعه النهضوي التجديدي يعتبر مشروعاً فكرياً تنويراً يطغي عليه النظرة العلمية في واقع اللا علمية (المجتمع العربي) وأكد على أنه إذا أرد تحقيق نهضة سياسية جديدة لابد من الاقتداء بالغرب واتخاذ العقلانية منهجاً، بل ذهب أبعد من ذلك بحيث رفض ربط الدين بالسياسة باعتبار رجال الدين يستغلون الدين لخدمة مصالحهم الشخصية إضافة إلى تنقية الدين من الخرافات والبدع من عقول الشرقيين عن طريق لجوءه إلى نظرية التطور فلم تكن له نظرية علمية فقط بل كانت فكرة كفاحية للتصدي للجمود والتقاليد الموروثة والتصدي للطغاة الظالمين كما أنه أراد من خلالها أن يحل مشاكل الشعوب العربية بالأساليب العلمية وليس خضوعاً للتقاليد.

وسواء اتفقنا أم لم نتفق مع أفكار وأراء سلامة موسى تظل قيمة هذا المفكر الكبير في طرقه للأبواب المغلقة بدافع وطني يقدم لأمته وشعبه كل جديد في مجالات العلوم والفلسفة والفكر الديني والاجتماعي والسياسي كما يحسب له أنه كان من بين المفكرين الذين ساهموا في حقل الممارسة الفكرية المعاصرة بعدما كان الفكر جامداً والواقع الثقافي والاجتماعي يعاني التأخر.

فهرس المصادر والمراجع

1. نهلة محمود الحمزاوي فلسفة الأخلاق عند نيتشة وأثرها في الفكر العربي المعاصر، سلامة موسى أنموذجا، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص143.
2. عصمت نصار، فكرة التنوير بين أحمد لطفي السيد وسلامة موسى، ط1، الاسكندرية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، 2000، ص58.
3. أحمد ماضي، الفلسفة العربية المعاصرة، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الذي نظمته الجامعة الأردنية، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1978، ص353 – 355.
4. سلامة موسى، تربية سلامة موسى تربيتي التعليمية، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص81.

5. علاء طاهر، المحاولة النقدية العربية، مجلة الفكر العربي، ابريل 1989، العدد 56، ص128.
6. سلامة موسى، حرية الفكر وأبطالها في التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1961، ص14.
7. سلامة موسى، تربية سلامة موسى (بدون تاريخ)، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ص275.
8. ألبيرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، دار النهار للنشر بيروت لبنان،1968، ص410.
9. سلامة موسى، تربية سلامة موسى، ص283.
10. فتحية القاسمي، العلمانية في مؤلفات شبلي شميل وسلامة موسى، ط1، منشورات جامعة تونس للآداب والفنون، 1991، ص181.
11. سلامة موسى، مقام العرب في النهضة الأوروبية، المجلة الجديدة، ديسمبر، 1933، ص 14 – 21.
12. سلامة موسى، ما هي النهضة، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2000، ص56 – 58.
13. سلامة موسى، تربية سلامة موسى، ص5.
14. سلامة موسى، مقالات منوعة، ط4، مكتبة المعارف بيروت، 1980، ص108.
15. سلامة موسى، الثورات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص77.
16. نهلة الحمزاوي، فلسفة الأخلاق عند نيتشة وأثارها في الفكر العربي الحديث والمعاصر، سلامة موسى نموذجا، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص115.
17. سلامة موسى، مقالات ممنوعة، ص123.
18. سلامة موسى، ما هي النهضة، ص 120 – 124.
19. نهلة الحمزاوي، فلسفة الأخلاق عند نيتشة وأثارها في الفكر العربي الحديث والمعاصر سلامة موسى نموذجا، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ص159.
20. المرجع نفسه، ص159.

21. سلامة موسى، مشاعل الطريق للشباب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د، ت، ص67.
22. سلامة موسى، مقالات ممنوعة، ط4، مكتبة المصارف، بيروت، 1980، ص123.
23. عبدالله العروي، الأيدولوجية العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1995، ص48.
24. نهلة الحمزاوي، فلسفة الأخلاق عند نيتشة وأثارها في الفكر العربي الحديث والمعاصر سلامة موسى نموذجا، مرجع سابق، ص159.
25. سلامة موسى، ما هي النهضة، مرجع سابق، ص136.
26. محمود الشرقاوي، سلامة موسى المفكر والإنسان، دار الهلال، القاهرة، 1968، ص23.
27. محمد عمارة، الانتماء الحضاري للغرب أم الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، ص47.